أوراق إستراتيجية

Jerusalem Center for Public Affairs
February, 2006
From Manfred Gerstenfeld's

التاريخ الفرنسي والمواقف الحاليّة نحو إسرائيل

لقد حطّ Freddy Eytan، السفير الإسرائيلي الأوّل لموريتانيا، رحاله في باريس في التسعينات كديبلوماسي إسرائيلي وفي التسعينات كصحافي، وراقب السياسات الشرق أوسطيّة لفرنسا لفترة طويلة من الوقت. وقد نشر في العام 1986 وألف مؤخّراً كتاب : David and Marianne and Jews: France, Israel The Double Game (اللعبة المزدوجة)، محللاً سياسة الرئيس جاك شيراك في الشرق الأوسط منذ العام 1974، كما عكس في الكتاب بعض المشاكل الكبرى التي خلقتها فرنسا لإسرائيل واليهود في العقود الأخيرة، وأحياناً لكليهما في آن معاً.

وحين يقوم بمناقشة السياسات الحاليّة لفرنسا، فإنّ Eytan يقول أنّه للوصول الى وجهة النظر، فإنّ على المرء أن يلتفت بأفكاره الى عدّة عقود مضت. " ففي العام 1956، وقبل واثناء حملة قناة السويس، كان لفرنسا- مع هدفها بإعادة ترسيخ سيطرتها على قناة السويس- مصلحة كبرى في العمل العسكري المشترك مع إسرائيل. وفي الحرب الجزائريّة، كانت فرنسا تواجه FLN، حركة الإستقلال الوطني. وإعتقدت فرنسا أنّ التعاون مع إسرائيل قد يكون فائدة لكلتا الجهتين، وهكذا قامت فرنسا ببيع أسلحة الى إسرائيل وساعدتها على تأسيس مفاعلها النووي.

وخلال السنوات الواقعة ما بين عامي 1956 و 1962، عانت العلاقات الديبلوماسيّة، لكافّة البلدان العربيّة، مع فرنسا بإستثناء لبنان- وإنتهت الحرب الجزائريّة في العام 1962 مع إتفاقيات Evian التي أدّت الى إستقلال الجزائر. وبعد تغيير سياستها في العام 1967، بدأت فرنسا تقول أنّ إسرائيل دولة مستعمرة بما أنّها أخضعت وإنتزعت أراضي وكان هذا الأمر قناعاً للدوافع السياسيّة الحقيقيّة لفرنسا. لقد فهمت أهميّة إحتياطات النفط العربي، وسعت الى طرق لتحسين علاقتها مع الدول العربيّة، ولم تكن الحسابات السياسيّة صعبة: هناك 21 دولة عربيّة ولا يوجد سوى دولة يهوديّة واحدة.

وفي العام 1967، وأثناء حرب الستّة أيام، قامت فرنسا بعكس سياستها نحو إسرائيل بشكل راديكالي. لقد كانت فرنسا داعمة للدولة اليهوديّة؛ وبعد الحرب، عارضت إسرائيل بشكل متزايد، في المسائل الحاسمة. ومن الصعب فهم لِمَ قام الجنرال ديغول بإستغلال شحنة أسلحة (ضد إسرائيل)، في حزيران عام 1967 في نفس اللحظة التي كان فيها الإسرائيليون يواجهون الموت. هل تداعت ذاكرة الجنرال الى السنوات القاتمة من التاريخ الفرنسي في الحرب العالمية الثانية؟

لقد إستُعمِلت طائرات الميراج الفرنسيّة ضد إسرائيل خلال حرب يوم خيبر كنتيجة لسياسة البلد المؤيّدة للعرب. وكانت هذه الطائرات، التي كانت أصلاً متجهة الى إسرائيل، قد بيعَت الى ليبيا ثم نُقِلَت الى مصر. ومع رفع اليد عن الشحن الأسلحة، سقط القناع وظهرت اللعبة المزدوجة لفرنسا.

وفي السبعينات، كان هناك تأثير ثقافي فرنسي حقيقي في إسرائيل. لقد تُرجمت أغنيات فرنسيّة عدّة الى العبريّة، حتى أن فرنسا كان لديها مركز ثقافي في القدس، وقد أُغلق في العام 1970 على الرغم من كثرة الناطقين بالفرنسيّة في إسرائيل. وحتى اليوم، فإنّ إسرائيل، وعلى الرغم من رغبتها بأن تصبح عضوة في بلدان الإتحاد الفرانكوفوني، فإنّها لم تنجح بذلك بسبب المعارضة العربيّة.

المصلحة الملتبسة

بعد عمليّة الشحن الفرنسيّة، أصبحت الولايات المتّحدة أكبر مزوّد للأسلحة لإسرائيل وحليفتها الأكثر إخلاصاً، ووُضِعَت فرنسا خارج القرارات الشرق أوسطيّة الحاسمة. لقد أخطأت فرنسا بخياراتها التاريخيّة في كل مناسبة تقريباً. ويتساءل Eyton : " هل كانت سياسة فرنسا المنهضة غالباً لإسرائيل فعالة؟ وهل إستفادت من ذلك في العالم العربي؟ إنّ هذا الأمر مشكوك به جداً ".

ومنذ أزمة الطاقة وحتّى الحرب العراقيّة اليوم، حيث تمّ أخذ رهائن فرنسيين كان هناك أمثلة عدّة عن أنّها لم تستفد من ذلك. ويثبت التاريخ أنّ السياسات العربيّة لفرنسا، والتي قام بتطويرها ميشال جوبير، وزير الخارجيّة الديغولي، كانت فشلاً كبيراً.

لا تزال فرنسا تعيش وهم أنّها قوّة عظمى. لكنّها ليست كذلك. لقد تضاءل تأثيرها بالمقارنة مع التأثير الأميركي، حيث أصبحت أميركا، بما أنّ الإتحاد السوفياتي إنهار، سيدة العالم الوحيدة. إنّ سياسة أوروبيّة متوازنة ومتجانسة هي فقط ما يجعلها قادرة على أن تحتفظ بمصداقيتها في الشرق الأوسط ولتقدُّم للأوروبيين دوراً يستفيدون منه.

العودة الى فضيحة Dreyfus

ويشير Eytan : " في بعض المسائل، كجذور الحركات اليمينيّة المتطرّفة اليوم، فإنّ على المرء أن يرجع بالزمن الى الوراء أكثر إذا كان يرغب في فهم المواقف الحاليّة نحو إسرائيل. لقد كانت فضيحة Dreyfus حادثة شكّلت حداً فاصلاً في التاريخ الفرنسي مع تأثير دام طويلاً. وكانت إحدى عواقبها تأسيس حركات معادية للساميّة مثل Action Francaise و Ligue Action Directe ".

إنّ هذه الحركات وحركات أخرى مشابهة كان لديها وقع عميق (يصعب فهمه) تجاوز أيضاً الحدود الفرنسيّة الى الفاشستيين مثل فرانكو في إسبانيا وسلازار في البرتغال، ولقد تأثّروا بموسوليني في بعض وجوه النظرة العالميّة الفاشستيّة، الملكيّة والدينيّة الموحّدة.

لقد كان الموالون للحركات اليمينيّة الفرنسيّة متناقضين نحو حكومة Vichy خلال الحرب، ومن جهة كان Petain البطل الوطني الفرنسي في الحرب العالميّة الأولى؛ ومن جهة أخرى، فإنّه قام بالتعاون مع النازيين الأعدلء. إنّ مواقفهم تختلف حسب الوقت. وفي العام 1945، قاست الحركات اليمينيّة المتطرّفة المعادية للساميّة من هزيمة أخرى، عندما قامت حكومة ما بعد الحرب الفرنسيّة بالتخلص من تأثيرهم، وأُحضِرَ العديد من المتعاونين مع الأعداء الى العدالة. لقد كان هناك عدالة شعبيّة أيضاً، وإحدى الأمثلة المعروفة جداً كانت قص شعر النساء اللواتي كُنَّ على علاقات غراميّة مع الإلمان.

اليمين الفرنسي منذ نهاية عهد الإستعمار

في ذلك الوقت، كانت فرنسا لا تزال قوّة إستعماريّة. وقد إستمرّ ذلك بالتأثير الكبير على سياستها الخارجيّة. لقد حكمت الهند الصينيّة وأجزاء كبيرة من شمال أفريقيا، وكانت الجزائر لا تزال جزءاً فرنسياً ما رواء البحار. لقد أعطى هذا الوضع، بالتدريج، اليمين المتطرّف الفرنسي فرصاً جديدة ليرفع رأسه. وبعد هزيمة فرنسا على يد الفييتناميين في Dien Bien Phu في العام 1957، وإستقلال الجزائر العام 1962، تطوّرت الحركات اليمينيّة من ناحية أنّها أرادت أن تثأر لنفسها من الحكومة الفرنسيّة، وأصبح ديغول هدفهم الأوّل، وكانوا قبل ذلك قد إستهدفوا رئيس الوزراء اليهودي Pierre Mendes Frane بسبب سياساته المتعلّقة بالإستقلال التونسي وبحرب الهند الصينيّة.

عندما إنتهى التاريخ الإستعماري الفرنسي، بدأت الحركات اليمينيّة المتطرّفة تهتم بمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، وبنفس الوقت إكتشفت الحركات الفوضويّة اليساريّة الفلسطينيين. وكان إرهابيو بدر- مينهوف (Bader- Meinhoff) من Red Army Fraction في ألمانيا مثالاً نموذجياً. لقد إشتركوا بأنفسهم في حرب لم تكن حربهم. إنّ الفرق بين مواقف المتطرفين اليساريين واليمينيين نحو إسرائيل، أصبحت ضبابيّة بشكل متزايد.

وبنهاية السبعينات، أصبحت حركة الجبهة الوطنيّة اليمينيّة لـ Jean- Marie Le Pen حركة مؤسساتيّة وحافظت فرنسا على سياسة حرّة ولم تمزّقها. ولاحقاً، دخلت الجبهة الوطنيّة الى البرلمان وبهذه الطريقة شرعن الإنتخاب Le Pen ، ولم تنجح الجبعة الوطنيّة بالبقاء في البرلمان الفرنسي بسبب الحواجز العالميّة للنظام الإنتخابي الصارم.

إعادة كتابة التاريخ الفرنسي

إنّ الجهود لإعادة كتابة تاريخ الحرب الفرنسيّة، والمشكوك بها بشكل كبير، بدأت فور إنتهاء الحرب تقريباً. لقد إعتمدت حكومة Vichy الفرنسيّة، وليس الإلمان، المعايير الأوليّة المعادية لليهود. لقد أتت هذه الحكومة الى السلطة بشكل غير شرعي، وبهذا فإنّ فرنسا Vichy إختلفت عن البلدان من قِبَل الإلمان، لقد تعاونت مع العدو النازي، وكان لشرطتها الحصّة الكبرى في إضطهاد اليهود.

وأطلّت مسألة إنكار الهولوكوست برأسها أيضاً ما أن إنتهت الحرب. وتظاهر اليهود، إلاّ أنّ الحكومة الفرنسيّة لم تهتم بذلك. وقد بدأت الحركات المنكرة للهولوكوست لليمين المتطرّف بالإجتماع وتعاونت أيضاً على إتحاد مواقف معادية لإسرائيل. وقام
Le Pen بتصريحه المنحرف (الشرير) من أنّ الهولوكوست ما هي إلاّ جزء صغير من تاريخ الحرب.

وكان الشيوعيون على الجانب الآخر من الطيف السياسي، وقد حارب العديد من اليهود في صفوفهم أثناء المقاومة في الحرب العالميّة الثانية. وإتبع الحزب السياسة السوفياتيّة، وهكذا أصبح معادياً لإسرائيل بشكل متزايد. ودام هذا الموقف بعد تفكك الإتحاد السوفياتي. وإنّ فرنسا اليوم هي واحدة من البلدان الغربيّة القليلة التي لا يزال لديها حزباً شيوعياً حقيقياً. لقد حوّلوا إسرائيل الى كبش محرقتهم.

ويضيف Eyatn الى أنّ السياسة الفرنسيّة السائدة غالباً ما كانت رائدة بالعمل ضد المصالح الإسرائيليّة. لقد كان وزير خارجيّة فرنسا Sauvangnargue في العام 1974 المسؤول الغربي الأوّل الذي قام بالإجتماع مع ياسر عرفات في بيروت. وبعد أشهر عدّة، تمّ الإعتراف بمنظّمة التحرير في الأمم المتّحدة بصفة مراقب. وإبتهج الفلسطينيون بالنصر، ودخل قائدهم ياسر عرفات الى قصر نيويورك الزجاجي بإشارة الملاكم الفائز وسلاحه الى جانبه. لقد هُلل وصُفقَ لعدو إسرائيل الأوّل من قِبَل أكثريّة دول العالم بفضل مساعدة فرنسا. وفي السنة التالية، كانت فرنسا البلد الأوروبي الأوّل الذي يسمح لمنظّمة التحرير بفتح مكتب ديبلوماسي لها على أراضها. وفي كانون الثاني 1976، صوّت سفير فرنسا في الأمم المتّحدة Louis de Guivinguad على إقتراح يعطي الشعب الفلسطيني الحق بخلق دولة مستقلّة في فلسطين، ومن دون الفيتو الأميركي كان تبنّي هذا الإقتراح أمراً ممكناً.

لا علاقة للواقع بالموضوع

ويلاحظ Eytan أنّ الأوروبيين وخاصة الفرنسيين يتّسمون بمقاربة ديكارتيّة (Cartesian). " لقد إبتدعوا مناقشات مثاليّة (تجريديّة) ليتلاعبوا بها بصرف النظر عن الواقع. وعلى قدر ما تهتم إسرائيل بها، فإنّ ذلك سيقودها غالباً الى إستنتاجات سخيفة. وقد توقّفت النزعة المناهضة لإسرائيل لبعض الوقت فقط عندما حصل الهجوم التفجيري القاتل في Paris Rue Copernic Synagogue في تشرين أوّل 1980، والى الآن ليس واضحاً عمّا إذا كانت منظّمة التحرير أو اليمين المتطرّف وراء ذلك الهجوم.

وشجب الرئيس الفرنسي الإشتراكي فرنسوا ميتران هذا الهجوم بشدّة. وإنّ ميتران، الذي يمكن إعتباره إشتراكي بورجوازي، كان يملك شخصيّة متناقضة. فخلال فترة رئاسته من العام 1981 وحتّى العام 1995، لم يوافق على مسؤوليّة الجمهوريّة الفرنسيّة على أعمال حكومة Vichy السالفة الشريرة. كما أنّه حافظ على علاقات وثيقة مجرم الحرب الكبير Rene Bousquet، وقد ظهر ذلك الى العلن في العام 1994، بعد سنيتين من وفاته، وذلك في كتاب لـ Pierre Pean. وحتى أولئك اليهود الذين كانوا قريبين منه، لزموا الصمت.

وخلال حرب لبنان، أغضبَ ميتران العديد من الناس بمقارنته أنشطة الجيش الإسرائيلي بالأعمال الوحشيّة التي قام بها النازيون في Oradaur-Sar-Glane القريبة من مدينة Limoges يوم السبت 10 حزيران 1944. ففي ذلك اليوم، وصل 200 جندي من جنود .S.S الى هذه البلدة الهادئة وجمعوا السكان، ثم أُخِذَ الرجال الى الكنيسة وتمّ قتلهم وحرق الألمان القرية وقتلوا 642 من سكانها. ولم يتم إعادة بناء هذه القرية أبداً.

وعلى كل، وفي العام 1972، كان ميتران الرئيس الفرنسي الأوّل الذي يزور إسرائيل، إذ لم يزر أي رئيس دولة فرنسي الأرض المقدسة من أيام الملك لويس (Saint Louis) في العام 1250.

الرومانسية الإشتراكيّة تعظ الأخلاقيّة

وبحلول العام 1974، كان ميتران قد إجتمع بعرفات في القاهرة خلال إجتماع للإشتراكيّة الدوليّة. وينجم موقف الإشتراكيون من النظرة العالميّة الرومانسيّة. إنّهم يفضّلون الحركات الوطنيّة، كما أنّهم دعموا تشي غيفارا في وقت معيّن. إنّ العديد من المفكرين الفرنسيين هم إشتراكيون أو يساريون.

لقد كان لدى وزارة الخارجيّة الإشتراكيين Claude Cheysson و Ronald Dumas، وبعد ذلك الى حد ما أيضاً Hubert Vedicine ، موقف عاطفي وعسكري نحو المشكلة الفلسطينيّة. وفي نقاشاتهم مع القادة الإسرائيليين، فإنّهم غالباً ما قاموا بالوعظ الأخلاقي.
كان Dumas محامياً، وقام بالدفاع في القدس عن الكاهن الكاثوليكي جورج هيلاريون كبوشي، وكان الأخير قد نقل أسلحة وذخائر في سيارته الديبلوماسية للفلسطينيين. وأحياناً تصطدم مصالح الدولة الفرنسيّة العليا مع إعتبارات شرعيّة، حيث يجب إيجاد طريق إلتفافيّة. وهناك مثال نموذجي على ذلك، وقد حدث في العام 1976، عندما إعتقلت فرنسا الإرهابي الفلسطيني أبو داوود، الذي كان مسؤولاً عن مقتل 11 من اللاعبين الرياضيين الإسرائيليين في الألعاب الأولمبيّة في ميونخ عام 1972. وأراد المكتب السري الفرنسي وضعه في السجن، وطلبت إسرائيل وألمانيا تسليمه.
ولم تعتبر الحكومة الفرنسيّة أنّ هذا الأمر هو من مصلحة الدولة العليا. وكان Damus محامي أبو داوود. وقُدمَ هذا الأخير أما العدالة التي أطلقت سراحه بعد ذلك. في ذلك الحين، كان القضاة غير مستقلين. إنّ هذا السلوك يقارب السخافة. فإذا كان من مصلحة فرنسا إطلاق سراح أبو داوود، فإنّه لم يكن عليها إعتقاله، وعندما قاموا بإعتقاله فإنّه كان عليهم تقديمه للمحاكمة. وهذا يعطينا درساً من أنّ الأخلاقيّة لا يمكن توظيفها في العلاقات الدوليّة، في حين أنّ اللعبة المزدوجة الفرنسيّة تقوم بعملها بشكل جيّد.

شيراك يقدّم التقدير لعرفات

وبعد العام 1995، فإنّ عرفات غالباً ما كان ضيف شرف في قصر شيراك في باريس. لقد كان شيراك أوّل رئيس دولة يقدّم العلاج لعرفات في المنفى عندما أصبح في النهاية مريضاً، ولم يكن لدى لأي زعيم عربي الشجاعة أو الرغبة بالقيام بذلك علناً. وبقي شيراك مخلصاً لعرفات حتّى وفاته.
وبعد وفاة عرفات، تجاوز شيراك مستلزمات البروتوكول، حيث أنّه من الصعب في هذا العصر العثور على رئيس دولة ديمقراطيّة آخر يقدّم التقدير والثناء لزعيم محارب ورئيس دولة فعليّة.
وعلى إسفلت القاعدة الجويّة Villa Coublay ، غطّى العلم الفلسطيني تابوت عرفات وحُمِلَ على أكتاف ثمانية جنود فرنسيين على صوت معزوفة شوبان " March of the Dead "، وقام ثلاثة من رفاق الحرس الجمهوري بتقديم تحيّة الشرف وعزفت الفرقة العسكريّة الموسيقى الوطنية الفلسطينيّة و " المارسيلياز ". وكانت الأعلام الفلسطينيّة والفرنسيّة ترفرف في الهواء عندما حلّقت طائرة Airbus A309 التابعة للقوّة الجويّة، بجثمان عرفات الى القاهرة ورافقتها طائرة فرنسيّة أخرى على متنها وزير الخارجيّة. إنّ هذا الإجراء تجاوز أي منطق جيد.
وفي 11 تشرين الثاني، وهو اليوم الذي إنحنى فيه جاك شيراك أمام جثمان عرفات، تذكّرت فرنسا بكآبة هدنة الحرب العالميّة الأولى عندما قُتِلَ 8 مليون إنسان.
عندما نشاهد هذا التقدير الفرنسي الكبير لعرفات، يمكن للمرء أن يسأل ما هو مجال التكريم الذي تمّ إسقاطه لما كان يُسمّى البطل الفلسطيني؟ لقد كان الأمر الوحيد الناقص هو منح رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة عرفات وسام رابطة الشرف (للمحاربين).

لعبة شيراك المزدوجة

إنّ شيراك هو سيد الإزدواجيّة أيضاً. ففي تموز 1995، وبعد 50 سنة من الحرب، وبما أنّه كان رئيساً فرنسياً مُنتخباً حديثاً، فإنّه قام بالإعتراف أخيراً بأنّ كان على فرنسا أن تفترض المسؤوليّة عن قدر أولئك اليهود (الذين قُتلوا) أثناء حكومة Vichy . وشكّلت الحكومة الفرنسيّة بعثة تحقيق للإستعلام حول عمليات سلب اليهود من قبل القوات المحتلّة والمسؤولين بحكومة Vichy ، وقد قاد ذلك الى عمليّة تعويضات.
كان شيراك رئيس بلديّة باريس لمدّة 17 سنة، وبهذه الأهليّة كان لديه إتصالات عديدة مع المجتمع اليهودي. إنّ مبنى البلديّة قريب جداً من المركز اليهودي في Marais، ولدى شيراك عدّة مستشارين يهود أيضاً، وإنّ حاخام Lubviteh ويُدعى Yosef Pewzner خاصة قريب منه. وقد جاء شيراك الى إسرائيل في العام 1988 كرئيس للوزراء وكانت زيارته ناجحة نسبياً، أما زيارته كرئيس في العام 1996، فقد كانت على كل حال إخفاقاً تاماً. لقد رفض التحدث مع أعضاء الكنيست، كما أنّه رفض حماية الأمن الإسرائيلي في زيارته للقدس الشرقيّة. وإنّ فرنسا، كأغلب البلدان الغربيّة، لا تزال تعتبر القدس، كياناً منفصلاً عن إسرائيل.

إنّ السفارات الأوروبيّة موجودة في تل أبيب، على الرغم من أنّ الإدارة الخاصّة بالقدس من قِبَل الأمم المتّحدة لم تُطبَّق أبداً. إنها حالة فريدة في العالم حيث تقوم الدول الأجنبيّة بإختيار عاصمة لبلد، كما أنّه وضع كاذب لأنّ سفراء هذه الدول يأتون من تل أبيب لتقديم أوراق إعتمادهم للرئيس في القدس وليشاركوا بشكل متواتر في إجتماعات الكنيست.
وتعنون وزارة الخارجيّة الفرنسيّة برقياتها الى الحكومة في تل أبيب، كما أن جزءاً من الإعلام الفرنسي يستخدم هذه العبارة. وقد قال لي " مناحيم بيغن " في أحد الأيام: ماذا سيحصل لو أننا، في المستقبل، وجهنا رسائلنا الى الحكومة في Vichy ؟

إسرائيل: بين هلالين

ويرجع Eytan الى مسألة أخرى تؤثّر على وجهات نظر عدد من الفرنسيين حول الشرق الأوسط. " لقد شجّع العرب فكرة أنّ إسرائيل هي، بين هلالين، كالصليبيين في تاريخ الشرق الأوسط، والذين دام حكطمهم للقدس من العام 1099 وحتّى العام 1290، وذلك لقرنين من الزمن فقط. إنّ هذا التفكير هو مدعاة للسخرية، كما أنّ هذا المفهوم المثير للإشمئزاز يُعتبر مؤثراً في دوائر الحكومة الفرنسيّة.
لقد تبنّت دوائر عدّة في فرنسا، الفكرة التي تقول أنّ إسرائيل غير قابلة للبقاء كدولة صهيونيّة أو حتّى دون أن تكون كذلك حتّى ولو إستمر وجودها 50 أو مئة سنة أخرى. لقد كانت هذه الفكرة، جزئياً، ذريعة للموجة الكبرى من معاداة الساميّة التي إنفجرت في فرنسا في أعقاب ثورة فلسطين الجديدة في خريف 2000.
ومنذ إندلاع الإنتفاضة، أصبحت الكراهية نحو إسرائيل سمة في المجتمع الفرنسي، وبشكل رئيسي بين الدوائر اليمينيّة المتطرّفة والمناهضين للعولمة. ويجد المرء في فرنسا تستر جديد بين المفكرين اليساريين وبين الحركات المسلمة الراديكاليّة للتقليل من شرعيّة وجود إسرائيل. ويبشّر بعض العسكريين بإنكار الدولة الصهيونيّة لإسرائيل بإسم حقوق الإنسان وبإسم التفاهم الأفضل بين الأمم. وبغرابة كافية، تعود الفلسفة الفاشستيّة لليمين المتطرّف للقرن 19 بتحوّل فكري بين المناهضين للعولمة. إنّ الخروف الأسود هو نفسه: البارحة كان يهودي واليوم هي إسرائيل.
إنّ منبع الكراهيّة الأساسي يمكن العثور عليه في المجتمع المهاجر من شمال أفريقيا. وهناك الكثير الكثير من المفكرين من أصول شمال أفريقيّة يلعبون دوراً في التحريض المناهض لإسرائيل. وقامت فرنسا، البلد الحر، بخطأ إستراتيجي بتركها عدداً يقدّر بمئات الآلاف من العمال الأجانب من دون أن تدرس ماهيّة الأنشطة التي عليها إتخاذها- خاصة من خلال التعليم- لإدماجهم في المجتمع الفرنسي.
ولم تقل فرنسا للمهاجرين: " لقد دخلتم بلادنا بشروط معيّنة. أنتم تأتون الى دولة علمانيّة وأنّ البقاء هنا يتطلّب سلوكيات معيّنة ". لقد كانت الحكومات الإشتراكيّة متحررة في سياستها الإغترابيّة، وقد أدّى ذلك لأن تكون فرنسا اليوم وطناً لأكبر مجتمع مسلم في أوروبا- حوالي 6 مليون. وإنّ عناصرها الراديكاليّة هي المسؤولة بشكل رئيسي عن الحقيقة بأنّ فرنسا قادت أوروبا الى الحد الذي أصبحت فيه الأعمال العنيفة المعادية للساميّة موضع قلق. وتلعب المساجد الفرنسيّة أيضاً دوراً رئيسياً في التحريض، وهناك العديد من الأئمة الشيعة الإيرانيين.

مساعدة الخميني

ويضيف Eytan : لقد سببت السياسات الفرنسيّة في الماضي الأذى للغرب وبشكل خاص لإسرائيل والشعب اليهودي بطرق أخرى عديدة. وهي تتحمّل مسؤوليّة كبرى بتطوّر الإسلام الراديكالي. وقام الرئيس فاليري جيسكار ديستان بدعوة شاه إيران كأوّل ضيف أجنبي رسمي له، بسبب المصلحة الفرنسيّة في النفط الإيراني. وفي العام 1978، تنبأ جيسكار ديستان ووزير خرجيته Michel Poniatowski بإنهيار حكومة الشاه مما قد يشر بالمصالح التجاريّة لفرنسا. عندها قام الرئيس الفرنسي بتقديم العرض بإحضار آية الله الخميني الى الجزائر، حيث كان قبل ذلك مطارداً من مكان الى آخر، ومنحه اللجوء السياسي في فرنسا. وبقي الخميني في " نوفل لوشاتو " قرب باريس، ومن هناك أخذ يوزّع أشرطة تسجيل الى إيران والتي كانت تحرّض ضد الديمقراطيّة والسلام في الشرق الأوسط كما كانت تحرّض ضد اليهود والإسرائيليين، ودعا الى الجهاد، وهي الحرب المقدّسة العنيفة. وقامت منظّمة التحرير بتوزيع أشرطة الخميني في إيران. وعندما هوجمت السفارة الأميركيّة في طهران في تشرين الثاني 1979، كان أعضاء منظّمة التحرير من بين مرتكبي هذه الفعلة.
وكان ياسر عرفات الضيف الرسمي الأوّل في طهران. لقد لاقى ترحيباً شعبياً كبطل كبير لدعمه الثورة الإسلاميّة. ونحن نعلم اليوم أنّ مفاهيم الخميني للجمهوريّة الإسلاميّة أدّت الى تمدد كبير للإسلام العسكري (الحربي). إنّ كلا من حزب الله والقاعدة لديهما أصولهما من الأفكار الثوريّة التي تطوّرت في إيران- الخميني. ولم تكن الخطابات العنيفة في المساجد

وكذلك الإرهاب الإسلامي الدولي لتتطوّر من دون بقاء الخميني في فرنسا ومن دون الرعاية التي لقيها هناك. فمن دون ضيافة جيسكار ديستان، لم يكن الخميني ليكون قادراً على إستلام السلطة في إيران وتطوير البنية التحتية للبروباغندا والإرهاب الدولي.

ويلاحظ Eytan مذهبان فكريان في فرنسا: أحدهما مؤيّد لإيران والثاني مؤيّد للعراق. وقرر الفرنسيون أن يدعموا بشكل متزايد الجانب العراقي، بينما كانوا يقومون بإمداد الإيرانيين في آن معاً. لقد كانت هذه الحرب حرباً مطوّلة بسبب الإمدادات الفرنسيّة والتي قُتِلَ فيها مليون شخص.

وباع الفرنسيون لصدام حسين، أحدث طائراتهم، ميراج 2000، وذلك في العام 1974 ولاحقاً، قاموا بتأمين الإمدادات للمفاعل النووي Osirak فرب بغداد، والذي دمّرته إسرائيل في العام 1981.

إنّ الصراع اليوم بين الولايات المتّحدة وفرنسا ناجم عن السياسة الفرنسيّة المساندة للعراقيين في الشرق الأوسط. وسوف يستمر هذا الصراع لأنّ فرنسا، وبعيداً عن مصالحها السياسيّة، لديها موقف يقيدها أخلاقياً بشكل فائق تجاه كل المشاكل، بما في ذلك العلاقات بين البلدان. ويدرك الديبلوماسيون هذا الأمر أكثر من غيرهم، لأنّه يبرز في كل محادثاتهم تقريباً. إنّ هذا الموقف مختلف جداً عن الموقف الأميركي.

الموقف المقيّد (أخلاقياً)

ويعبّر هذا الموقف عن نفسه أيضاً بما يتعلّق باتلفلسطينيين. لقد ذهب Michel Barnier الذي أصبح وزيراً لخارجيّة فرنسا، لزيارة عرفات في تموز لأنّ الفرنسيين إعتبروا أنّه الرئيس المنتخَب للسلطة الفلسطينيّة. وبعد أربعة أشهر فقط، زار Barnier إسرائيل وبقي هناك ثلاثة أيام، لكنّه لم ينجح بأن يبدد سوء الفهم بين البلدين.

وفي العام 2003، رفض شيراك إستقبال رئيس الوزراء آرييل شارون في باريس، ولم يشجّعه على خطّة الإنفصال من غزّة. وقام شيراك بخطأ مشابه لذلك الذي قام به جيسكار ديستان، الذي- وفي العام 1977- لم يصفق للزيارة التاريخيّة للرئيس المصري أنور السادات الى القدس. وبعد ذلك، قام شيراك بالموافقة على خطّة شارون لكنّه قال أنّها ليست كافية وشدد على إسرائيل أن تنسحب من كل المناطق الفلسطينيّة، بما في ذلك القدس الشرقيّة.

مفاوضات كامب دايفيد

ولعبت فرنسا أيضاً دوراً غامضاً في مفاوضات كامب دايفيد 2، وهناك رؤية إسرائيليّة ناشئة من عدد من مستشاري إيهود باراك، والتي تدّعي أنّ شيراك حرّض عرفات على رفض إتفاق كامب دايفيد 2. وأنكر الفرنسيون ذلك وإدّعوا، على العكس، بأنّهم بذلوا أقصى جهدهم لإقناع عرفات بالتوقيع على ذلك الإتفاق.

وعلى كل، وبالنسبة للمراقب في الخارج، فقد بدا شيراك أنّه فعل ما بوسعه ليعرقل عمليّة المفاوضات. لقد أراد أن يؤسس بعثة تحقيق حول زيارة شارون الى جبل الهيكل والأحداث اللاحقة التي جرت هناك، وهو ما أدّى الى إحتكاك كبير مع إسرائيل.

وفوراً، بعد كامب دايفيد 2، دعا شيراك وزيرة الخارجيّة الأميركيّة مادلين أولبرايت ووزير الخارجيّة باراك وعرفات لزيارة فرنسا. لقد أراد منهم أن يوقعوا الإتفاق في فرنسا، وكان ذلك ممكناً لو أنّ شيراك، الذي كان على كل حال متهوّراً جداً، إتّخذ موقفاً متوازناً بين الأفرقاء. لقد كان غير مستعد بأن يعترف بأنّ الإسرائيليين قاموا، تقريباً، بكل التنازلات.

ليس لدى فرنسا أيّة أرض صلبة للقيام بالمساهمة في بإتفاق سلام الشرق الأوسط، إنها جزء من الإتحاد الأوروبي الذي لا يزال الى الآن يريد العمل بشكل مستقل. والى جانب ذلك، وبالرغم من كل التصريحات الثابتة للحكومة الفرنسيّة، فإنّ عدد الحوادث العنيفة المعادية للساميّة قد زادت في العام 2004 في فرنسا. وبالنظر الى كل ما حدث، فإنّ إسرائيل، وبشكل متزايد، تعتبر فرنسا وسيط غير ملائم في الشرق الأوسط.

ويستنتج Eytan : " إنّ التاريخ الإستعماري الأوروبي هو مصدر هواجسها المتكررة لمحاولة حل المشاكل الشرق أوسطيّة. وأنّ ذلك التاريخ يقف خلف المفاهيم وخلف اللعبة المزدوجتين لأوروبا. وإنّي أعتقد أنّ إحدى أكبر الميزات الأميركيّة في المفاوضات هي أنّ التاريخ الأميركي ليس مثقلاً بمعاداة الساميّة الذي برهن عن نفسه لوقت طويل في أوروبا.

ملاحظات

لقد درس Freddy Eytan في جامعة تل أبيب وفي جامعة Universite de Droit في باريس. لقد كان صحفياً، ديبلوماسياً، كذلك قام بالتدريس في الجامعة العبريّة (Hebrew University) وجامعة Bar-llan University .
وكان Eytan السفير الإسرائيلي الأوّل لجمهوريّة موريتانيا الإسلاميّة. وكتب عدداً من الكتب والمواضيع عن الصراع العربي- الإسرائيلي وعن السياسة الفرنسيّة في الشرق الأوسط، وهو اليوم رئيس المشروع الأوروبي- الإسرائيلي في " مركز القدس للشؤون العامّة ". (Jerusalem Center for Public Affairs)

Research Services Group
ResearchServics.Group@gmail.com